

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[36] هذا التعبير هو أكثر التعابير المؤدبة الممكن طرحها أمام قوم عنيدین مغرورین، ولا یجرح عواطفهم أو یمسها مطلقاً، فهو لا یقول: إن ما تقولونه کذب وخرافة، بل یقول: إن ما جئت به أهدى من دین آبائکم، فتعالوا وانظروا فیه وطالعوه. إن مثل هذه التعبیرات القرآنیة تعلمنا آداب المحاوره والمجادلة وخاصه أمام الجاهلین المغرورین. ومع کل ذلك، فإن هؤلاء كانوا غرقى الجهل والتعصب والعناد بحیث لم یؤثر فیهم حتى هذا المقال المؤدب الرقیق، فكانوا یجیبون أنبیاءهم بجواب واحد فقط: (قالوا إننا بما أرسلتم به کافرون) دون أن یأتوا بأي دلیل على مخالفتهم، ودون أن یتأملوا فی الإقتراح المعقول المتین لأنبیاء الله ورسله. من البدیهي أن مثل هؤلاء الأقوام الطاغین المعاندين، لا یتحققون البقاء، ولیست لهم أهلیة الحیاة، ولابد أن ینزل عذاب الله لیقتلع هذه الأشواک من الطریق ویطهره منها، ولذلك فإن آخر آیه – من هذه الآیات – تقول: (فانتقمنا منهم) فبعضهم بالطوفان، وآخرون بالزلزلة المدمرة، وجماعة بالعاصفة والصاعقة، وخلاصة القول: إننا دمّرنا کل فئة منهم بأمر صارم فأهلکناهم. وأخيراً وجهت الآیه الخطاب إلى الذبیة (صلی الله علیه وآله وسلم) من أجل أن یعتبر مشرکوا مکة أيضاً، فقالت: (فانظر کیف کان عاقبة المکذبین) فعلى مشرکی مکة المعاندين أن یتوقعوا مثل هذا المصیر المشؤوم. * * *